

(٨٧) سورة الأعلى

فى رهاب السورة الكريمة

سورة عظيمة مكية، آياتها تسع عشرة نزلت بعد سورة التكوير، تعالج باختصار بعض صفات العلى القدير، والدلائل على قدرته ووحدانيته والوحى والقرآن العظيم، والموعظة الحسنة، التى ينتفع بها أهل القلوب المهبة، ابتدأت بتنزيه الله عز وجل الذى خلق فأبدع وصور فأحسن، ثم تحدثت عن الوحى والقرآن العظيم وبشّرت الرسول الكريم بتحفيظه هذا الكتاب الخالد وتيسير حفظه عليه بحيث لا ينساه أبدا، ثم أمرت بالتذكير بالقرآن حيث يتعظ المؤمنون المتقون وختمت السورة الكريمة ببيان فوز من طهر نفسه من الذنوب والآثام وزكاهها بالأعمال الصالحة، وقد سميت بسورة الأعلى حيث بدأت بالأمر بتسبيح ذات الله العلية المنزه عن كل صفات النقص والمتصف بكل صفات الكمال.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِى خَلَقَ فَسَوَّى ﴿٢﴾ وَالَّذِى قَدَّرَ فَهَدَى ﴿٣﴾ وَالَّذِى أَلْحَقَ الْأَرْحَمَ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غَنَاءً أَحْوَى ﴿٥﴾ سَنُقَرِّئُكَ فَلَا تَنسَى ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ﴿٧﴾ وَنُيَبِّتُكَ لِلنَّاسِ ﴿٨﴾ لَذِكْرِكُمْ إِن نَّفَعْتُمُ الْذِكْرَى ﴿٩﴾ سَيَذَكِّرُ مَنْ نَحْنَفَى ﴿١٠﴾ وَنَعْبُدُهَا الْأَشْفَى ﴿١١﴾ الَّذِى يَصْلَى الْبَارَ الْكَبْرَى ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْتَفَى ﴿١٣﴾ قَدْ أَلْمَحَ مَنْ تَرَكَى ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤَظُّونَ الْخَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةَ خَيْرَ وَأَبْلَى ﴿١٧﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا السُّحْبُ الْأُولَى ﴿١٨﴾ صُحْبُ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٩﴾ وَمُوسَى ﴿٢٠﴾ ﴾

معانى المفردات:

سبح اسم ربك: نزهه ومجده
خلق: أوجد كل شيء بقدرته
فسوى: بين خلقه فى الإحكام والإتقان فهدى: وجّه كل مخلوق إلى ما ينبنى له

أخرج المرعى: أنبت العشب رطبا غضا فجعله غثاء: يابساً هشياً كغثاء السيل
أحوى: أسود بعد الخضرة والنضارة نيسرك: نوقفك
للسرى: للطريقة اليسرى فى كل أمر يصلى النار: يدخلها أو يقاسى حرها
أفلح: فاز بالغبية تطهر من الكفر والمعاصى

التفسير:

﴿ سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ أى نزه يا محمد ربك العلى الكبير عن صفات النقص
وعما يقوله الظالمون، مما لا يليق به سبحانه وتعالى من النقائص والقبائح وفى
الحديث الشريف أنه ﷺ إذا قرأ هذه الآية قال: "سبحان ربي الأعلى"^(١) ثم ذكر من
أوصافه الجليلة، ومظاهر قدرته الباهرة ودلائل وحدانيته وكماله فقال ﴿ الَّذِي خَلَقَ
قَسْوَى ﴾ أى خلق المخلوقات جميعها فأتقن خلقها وأبدع صنعها، قال فى البحر:
أى خلق كل شىء فسواه بحيث لم يأت متفاوتاً، بل متناسباً على إحكام وإتقان،
للدلالة على إنه صادر من عالم حكيم^(٢) ﴿ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴾ أى قدر فى كل شىء
خواصه ومزاياه بما تجل عن العقول والأفهام، وهدى الإنسان لوجه الانتفاع بما
أودعه فيها، وهدى الأنعام إلى مراعيها، ولو تأملت ما فى النباتات من الخواص،
وما فى المعادن من المزايا والمنافع، واهتداء الإنسان لاستخراج الأدوية والعقاقير
النافعة من النباتات، واستخدام المعادن فى صنع المدافع والطائرات لعلمت حكمة
الله العلى القدير، الذى لولا تقديره وهدايته لكتائبهم فى دياجير الظلام كسائر
الأنعام، قال المفسرون: إنما حذف المفعول لإفادة العموم أى قدر لكل مخلوق
وحيوان ما يصلحه، فهدها إليه وعرفه الانتفاع به^(٣) ﴿ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ﴾ أى أنبت
ما ترعاه الدواب من الحشائش والأعشاب ﴿ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ﴾ أى فصيره بعد
الخضرة أسود بالياً بعد أن كان ناضراً زاهياً، ولا يخفى ما فى المرعى من المنتقصة
بعد صيرورته هشياً يابساً، فإنه يكون طعاماً جيداً من الحيوانات، "وأعطى كل
شىء خلقه ثم هدى وبعد أن ذكر دلائل قدرته وحدانيته، ذكر فضله وإنعامه على
رسوله فقال: ﴿ سَنُقَرِّبُكَ فَلَا تَنْسَى ﴾ أى سنقرئك يا محمد هذا القرآن العظيم فتحفظه

(١) أخرجه الإمام أحمد عن ابن عباس.

(٢) البحر المحيط ٤٥٨/٨.

(٣) روح المعانى ١٠٤/٣٠.

فى صدرك ولا تنساه ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أى لكن ما أراد الله نسخه فإنك تنساه، وفى هذه الآية معجزة له عليه الصلاة والسلام، لأنه كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، وكان مع ذلك لا ينسى ما أقرأه جبريل عليه السلام، وكذبه يحفظ هذا الكتاب العظيم من غير دراسة ولا تكرار ولا ينساه أبداً، من أعظم البراهين على صدق نبوته ﷺ، ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْغَيْبَ وَمَا يَخْفَى﴾ أى إنه سبحانه وتعالى عالم بما يجهر به العباد وما يخفونه من الأهوال والأفعال لا يخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء ﴿وَكُنْتُمْ لَهُ لَلْبُسْرَى﴾ أى ونوفقت للشريعة السمحة البالغة اليسر، التى هى أيسر وأسهل الشرائع السماوية وهى شريعة الإسلام ﴿فَلَذَكِّرْ إِنْ نَفَقْتُمْ أَلْوَتْرَى﴾ أى فذكر يا محمد بهذا القرآن حيث تنفع الموعظة والتذكرة، قال ابن كثير: ومن هنا يؤخذ الأدب فى نشر العلم، فلا يضعه عند غير أهله، كما قال على رضى الله عنه، وما أنت بمحدث قوما حديثاً لا يبلغ عقولهم، إلا كان فتنة لبعضهم وقال: حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب على الله ورسوله؟^(١) ﴿سَيَذَكَّرْ مَنْ خَفَى﴾ أى ويرفضها ويتعد عن قبول الموعظة من يخاف الله تعالى ﴿وَيَتَجَنَّبِىَ الْأَقْبَى﴾ أى ويرفضها ويتعد عن قبول الموعظة الكافر المبالغ فى الشقاوة ﴿الَّذِى يَحْمِلِ الْنَارَ الْكُبْرَى﴾ أى الذى يدخل نار جهنم المستعرة العظيمة الفظيعة قال الحسن: النار الكبرى نار الآخرة والصفوى نار الدنيا^(٢) ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْتَبِى﴾ أى لا يموت فيستريح ولا يحيا الحياة الطيبة الكريمة بل هو دائم فى العذاب والشقاوة ﴿قَدْ أَلْفَحَ مَنْ تَرَكْنَى﴾ أى قد فاز من طهر نفسه بالإيمان وأخلص عمله للرحمن ﴿وَذَكَرَ أَسْمَرَ زَيْمٍ فَصَلَّى﴾ أى وذكر عظمة ربه وجلاله فصلّى خشوعاً وامثالاً لأمره ﴿بَلْ تُؤْتِرُونَ الْخَيْزَةَ الذُّنْبَى﴾ أى بل تفضلون أيها الناس هذه الحياة الفانية على الآخرة الباقية والباقي خير من الفانى، قرأ ابن مسعود هذه الآية الكريمة فقال لأصحابه: أتدرون لِمَ آثرنا الحياة الدنيا على الآخرة؟ قالوا: لا، قال: لأن الدنيا أحضرت وعجل لنا بطعامها، وشرابها، ونسائها، ولذاتها وبهجتها. وإن الآخرة غيبت وزويت عنا، فأجبنا العاجل وتركنا الأجل^(٣) ﴿إِنَّ هَذَا

(١) مختصر ابن كثير ٣/٦٣٠.

(٢) البحر المحيط ٨/٤٥٩.

(٣) تفسير الخازن ٤/٢٣٦.

لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٠٠﴾ صُحُفٍ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿١٠١﴾ أى إن هذه المواضع المذكورة فى هذه السورة، مثبتة فى الصحف القديمة المنزلة على إبراهيم وموسى عليهما السلام، فهى فى ما توافقت فيه الشرائع، وسطرته الكتب السماوية، كما سطره هذا الكتاب المحيد.

الإعراب:

<p>سبح فعل أمر مبنى على السكون، والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت، اسم مفعول به رَبِّكَ مضاف إليه مجرور والكاف ضمير فى محل جر بالإضافة، الأعلى نعت مجرور بالكسرة المقدره الذى اسم موصول نعت ثان للرب وجملة خلق صلة الموصول، فسوى الفاء عاطفة وسوى فعل ماض مبنى والفاعل ضمير مستتر والجمله معطوفة، والذى عطف أيضا على ما سبق وقلد فعل ماض مبنى وفاعله ضمير مستتر والجمله صلة الموصول وهدى عطف على ما سبق.</p>	<p>سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١٠٠﴾ الَّذِى خَلَقَ فَسَوَّى ﴿١٠١﴾ وَالَّذِى قَدَّرَ فَهَدَى</p>
<p>والذى معطوف على ما قبله، وجمله أخرج صلة الموصول، المرعى مفعول به منصوب بالفتحة المقدره، فجعله الفاء عاطفة، جعله فعل ماض مبنى والهاء فى محل نصب مفعول أول، غشاء مفعول ثان منصوب، وأحوى نعت منصوب وقال الزمخشري: ويجوز أن يكون أحوى حالا من المرعى أى أخرجه من المرعى أسود من شدة الخضرة والرئى فجعله غشاء بعد حَوَّته^(١)، سنقرئك السين حرف استقبال، نقرئك فعل مضارع مرفوع وفاعله مستتر تقديره نحن والكاف مفعول به والفاء حرف عطف ولا نافية تنسى مضارع مرفوع وعبارة أبى السعود: "سنقرئك فلا تنسى: بيان لهداية الله تعالى الخاصة برسوله ﷺ إثر بيان هداية الله العامة لكافة مخلوقاته وهى</p>	<p>وَالَّذِى أَخْرَجَ الْمَرْعَى ﴿١٠٢﴾ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ﴿١٠٣﴾ سَنْقَرْتُكَ فَلَا تَنْسَى ﴿١٠٤﴾ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى</p>

(١) راجع إعراب القرآن الكريم وبيانه لحمى الدين الدرويش ص ٤٤٩ المجلد العاشر.

هدايته عليه السلام لتلقى الوحي وحفظه القرآن وهدايته للناس أجمعين، إلا أداة حصر وما مفعول به تنسى والاستثناء منقطع وجملة شاء الله صلة الموصول ما، وجملة إنه يعلم الجهر وما يخفى الجملة تعليل لما قبله، إن حرف توكيد ونصب والهاء ضمير في محل نصب اسم إن، يعلم مضارع مرفوع وفاعله مستتر، الجهر مفعول به وما يخفى الواو عاطفة، ما اسم موصول مبني في محل نصب مفعول به، يخفى مضارع مرفوع بالضممة المقدرة والفاعل مستتر جملة يخفى صلة الموصول.

ونيسرك الواو عاطفة، نيسرك مضارع مرفوع والفاعل مستتر والكاف ضمير في محل نصب مفعول به، لليسرى جار ومجرور متعلقان بنيسرك، فذكر الفاء هي الفصيحة إن شرطية، نفعت فعل ماض مبني في محل جزم فعل الشرط، والذكرى فاعل مرفوع بالضممة المقدرة، وجواب الشرط، محذوف دل عليه ما قبله، سيذكر السين حرف استقبال مَنْ اسم موصول في محل رفع فاعل، يخشى مضارع مرفوع بالضممة المقدرة والفاعل ضمير مستتر والجملة صلة الموصول لا محل لها، ويتجنبها مضارع مرفوع بالضممة الظاهرة والهاء في محل نصب مفعول به والجملة معطوفة على ما قبله، الأشقى فاعل مرفوع بالضممة المقدرة، الذي اسم موصول في محل رفع نعت للأشقى وجملة يصلى لا محل لها لأنها صلة الذي وفاعل يصلى ضمير مستتر يعود على الأشقى والنار مفعول به والكبرى نعت منصوب بالفتحة المقدرة.

وَيُسَبِّحُكَ اللَّيْسَرِيُّ ﴿٥٠﴾ فَذَكَرَ
 إِنْ نَفَعْتَ الذَّكَرَى ﴿٥١﴾
 سَيَذَكَّرُ مَنْ يَخْفَى ﴿٥٢﴾
 وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴿٥٣﴾
 الَّذِي يَصَلِّي النَّارَ الْكُبْرَى

<p>ثم حرف عطف مبنى لا حرف نفى، يموت مضارع مرفوع وفاعله ضمير مستتر، فيها جار ومجرور متعلقان بيموت ولا يجيى عطف على يموت والجملة معطوفة على ما سبق، قد حرف تحقيق مبنى على السكون، أفلح فعل ماض مبنى، من اسم موصول مبنى فى محل جر بالإضافة، فصلى الفاء عاطفة صلى فعل ماض مبنى والفاعل مستتر، بل حرف عطف مبنى على السكون، تؤثرون مضارع مرفوع بشيوت النون والواو فاعل والحياة مفعول به منصوب والدنيا نعت منصوب بالفتحة المقلدة، والآخرة الواو استنافية الآخرة مبتدأ مرفوع بالضمة المقلدة، خير خبر مرفوع وأبقى معطوف مرفوع بالضمة المقلدة.</p>	<p>ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَخْفَى ﴿٦٠﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴿٦١﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿٦٢﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٦٣﴾ وَالْآخِرَةَ خَيْرَ وَأَبْقَى ﴿٦٤﴾</p>
<p>إن حرف توكيد ونصب، هذا اسم إشارة مبنى فى محل نصب اسم إن اللام لام التوكيد وفى حرف جر، الصحف اسم مجرور، الأولى نعت مجرور وشبه الجملة فى محل رفع خبر إن، صحف بدل مجرور، إبراهيم مضاف إليه مجرور بالفتحة ممنوع من الصرف علم أعجمى وموسى معطوف على إبراهيم.</p>	<p>إِنَّ هَذَا لَيْهِ الصُّحُفِ ﴿٦٥﴾ الْأُولَى ﴿٦٦﴾ صُحُفٍ يُزَيِّمُ ﴿٦٧﴾ وَمُوسَى ﴿٦٨﴾</p>

من ألوان البلاغة

لقد اشتملت السورة الكريمة على الكثير من صور البيان والبدیع نذكر منها:

- ♦ الطباق فى قوله تعالى ﴿ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَخْفَى ﴾ وبين ﴿ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ﴾.
- ♦ الجناس فى قوله تعالى ﴿ وَيُؤْتِيكَ الْيُسْرَى ﴾ وقوله تعالى ﴿ فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى ﴾ وهو جناس اشتقاق فى كل منهما.
- ♦ المقابلة بين ﴿ سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْفَى ﴾ وبين ﴿ وَتَجَنَّبَا الشَّقَى ﴾.
- ♦ حذف المفعول به لإفادة العموم فى قوله تعالى ﴿ خَلَقَ فَسَوَّى ﴾ وفى قوله ﴿ قَدَّرَ فَهَدَى ﴾ لأن المراد خلق كل شىء فهدها.
- ♦ السجع الجميل غير المتكلف فى السورة كلها.